(١١)

نغيب ونعود
بأنانا في قائم الوجود
بين حضرتي الحياة والشهود

صلاة العيد

١ شوال ١٣٨٢ هـ - ٢٥ فبراير ١٩٦٣ م

عيـــــــــــــد

نعم كلنا عيـــد

وها نحن نعـــــود

ولنا في كل يوم عيد، وفي كل يوم نعود

نغيب بالموت وبالنوم، ونعود بالبعث وباليوم لحياة الوجود بين العماء والشهود.. بين القيام والقعود.. بين الحركة والركود.

ها نحن نعود، وكم غبنا وكم عدنا من رحلة الصيام والقيام في متابعة آثار سيد الأنام من حياة اليقظة إلى حياة النيام. لنا في كل تقوى شهود بوجود. ولنا في كل شوق بعث موعود. ولنا في كل رجعة إلى الحق آمال في الله ومحصلة بسعود. نحيا ما ذكرناه ونتعطل عن الحياة ما غفلنا عن ذكراه. لقد كنا في صيام عن شهوات أوانينا وقيام بالله مشغولين به بمعانينا. وها نحن إلى انشغال بأوانينا نعود. وها نحن بها لمعانينا نتأمل أسرار الوجود. وها نحن في آمالنا نعمل ونرجو لنسعد بالشهود، يوم يكشف الله غطاءنا عنا، قياما بكونه بنا، وبمعناه لنا. أغطيتنا أكوان له، ومعانينا أنًا ووجوه له. هو لها ولنا كل الحياة، وهو لنا ولها كل الأمل والنجاة. هو لنا على ما نريد، يوم نكون له على ما يريد، فلا رائد منا ولا إرادة منه، ولكن وجودا به هو وجودنا، ووجودا بنا هو وجوده. إرادته منا لنا تظهر، وإرادتنا منه به تظهر، ومنه له يتحقق لنا مراده بنا يوم تعود معانينا إلى أحضان قديمها في أحسن تقويم، وتخرج من

غفلتها ببعدها عن ماديها من أسفل سافلين، معتزة بعزته على مخاصم متعاملة برحمته مع مسالم، كلاهما من دائرة حكمته ومحيط قدرته، ألهمها فجورها وتقواها وبأحسن تقويم لها سواها، كشف لها عنها أقرب إليها من حبل الوريد، ومعها أينما كانت، من فيض رحمته لحقها بمعناها لمعناه.

النفس البشرية، النفس الإنسانية، إنما تقوم من الروح السرمدية من الحقيقة الأزلية لمشروع الحياة الأبدية، ممثلة لقيام الإرادة اللانهائية للمعنى المطلق للوجود. هي أنا الأحدية، وظهور الهو للهوية، وقيام قائم الغيب للشهادة الكونية. هي البدء لوجه الإطلاق لروح الحياة الأعظم اللانهائية. هي يد القدرة الإلهية على عوالم المادة الكونية. هي مظهر ذات العزة على مسرح الخلقية في تمثيلية الحرب والسلام القدسية لإبراز حكمة الألوهية والتعريف بواسع الرحمة الربانية للانهائي الحياة القدسية، القيوم على نفسه بقيامه على الحياة بغامر حبه المؤثر بقدراته على محبوبه ومحبه، الغفار لكل من قاربه بجوار صاحب الوجود دار، يأوي إليه اليتامى الأطهار، والموحدين الأبرار، ويبعثهم كتب علمه بسره وجهره، ورسل حضرته يدعون لموائد كرمه وظلال بيته وجنان مسرته، دعوة صادرة عن المعروف بذات العارف، متصفا بصفاته بقيامه الواصف، عالما بمعلوم إحاطته في قيام العلم بالعالم، قادرا قاهرا في صفات من أظهره بضعفه مع القادر القاهر. الإنسان بالحق مظهره، والإنسان للوجود في الوجود جوهره.

الإنسان في بشريته.. الإنسان في روحانيته.. الإنسان في غفلته ومنامه، والإنسان في يقظته وقيامه، يجاهد ليعود إلى ربه. إنه يسير في طريق طويل كادحا إلى ربه ليعرف ربه. تطول به الطريق ويقعده الضعف عن المواصلة ليعود إلى نفسه ليتأملها فإذا به يتلاقى مع ربه في نفسه. يخلقه الله في قيود جلبابه مبعوثا من حقه، ويضع الله عنه أوزاره ويكشف عنه أستاره، فيعود إلى نفسه عودا إلى ربه، ليأنس به ربه وليأنس هو بربه، لا فارق له عن ربه ولا فارق لربه عنه، قبسا من نور الله يجمعهما، وعَلَما من أعلامه هما، وإنسانا من إنسانه لهما، ورشدا من رشده لأحديتهما، وقياما من وجوده لواحديتهما، يكبرا الله يوم يوحدا الله، يوم ينكرا معنى الوجود لأناهما بعيدا عن أنا مولاهما هما لمعناه بعين معناه، عبدا وربا لمعناهما، فيحيا الحق في أناه بهما عبدا وربا في الله، اسما وذكرا ووجها لله موصوفا بوصفه، موجودا بحسه، فيعرف الله لله ولمن لا يعرف الله، ويُذكر الله عند ذاكر الله وعند من لم يتذكر الله، فيُعرف اسم الله بعارفه، لمعارفه، في معروفهم عن أنفسهم، فتقوم لا إله إلا الله، وتقوم قيامة عباد الله يؤمنون بها قائمة لا خافية يخفيها الجهل والغفلة وضعف الإيمان، ويعود الناس إلى رب الناس قائما على كل نفس، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، يومئذ يظهر الرسول بالحق المنشود ويقوم العبد وجها للمعبود، وهو ما هو قائم بعباد الرحمن يمشون هونا على الأرض، يومئذ

يجيبون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يومئذ تشرق أرض القلوب بنور ربها ويوضع الكتاب منيرا للأعين مبصرة، ويصل النداء للأسماع واعية، ويصل ماء الحياة بالحس والإدراك للجوارح حية بأمر ظاهر للعيان عن عين البيان، فيستقيم القيام بالإحسان، ويؤتى لدائرة الوعي والعلم في قلوب العلماء وبصائر الأتقياء بمن سبق أنبأ، وما كان هناك من إنباء، كلمات لله وشهداء على الناس، وهل هناك نبأ بعد البيان! وهل هناك خبر بعد العيان!

قل جاء الحق وزهق الباطل يوم أظهرناك على الدين كله، واتخذنا منك عضدا، وقمنا بك وجها، وسعينا بك قدما، ومددنا للناس من رحمتنا بك يدا، وكم حذرنا الناس من التفريط في أمرهم قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، يوم نبرز آياتنا، عاتية، دامغة، فلا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم.

قل لهم إنهم على الأرض باقون، وفيها ماكثون، ولأثوابهم فيها يجددون، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها، حتى يستيقظوا فيعيدوا أنفسهم لمن خلقهم لنفسه، لمن أوجدهم لعينه، لمن قدَّرهم لأمره، لمن هيأهم لسفوره، لمن جعلهم قوارير نوره، لمن ظهرهم خلقا، وبطنهم حقا، فقام عليهم بحقهم باسم ربهم، وأسعدهم بحقهم في خلقهم، فكانوا به أحياء هو أقرب إليهم من حبل الوريد، بهم عاد لظهوره، وبه عادوا لبطونه من بطونه لظهوره، في ظهوره بظهورهم لمعاني نفوسهم دسوها، ما أظهروها وما أطلقوها، ولكن بغفلتهم ظلموها، والحق لمعانيهم ما ظهروها وما نشرها، فعَاد الحق إلى أمره، ما تواجدوه، وما لجديد ذواتهم فطرية كسبوه، وما بظاهر أمره بهم عبدوه، فوحدوه، فشهدوه، فبتلاقيهم تلاقوه، فكان المؤمنين به مرايا الإيمان للمؤمنين بهم في ذواتهم لقيام الإحسان في معانيهم لنفوسهم وحدوها فوحدوه. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. يد الله مع الجماعة بالحق يتواصون وبالصبر يقومون، الذين يسمعون وأحسن القول يتبعون، فبموجوده محيطا يتواجدون، وبتنزيهه يحيون ويغنون ويتطورون ويكبرون ويتنزهون، وبوصلته يرحمون ويسعدون، جنته لأنفسهم يقومون، وناره في غفلتهم يباعدون، منهج الحق يأخذون ويسلكون، وقيام الحق يسعدون ويشهدون.

نرجو أن نكون قد كسبنا في رحلتنا برمضان شهر الصيام والقيام ما تيسر لنا من ذلك كله، كُلاً أو بعضا بيقظة كسبناها، وبمحبة قمناها، وبلمحات سعدناها، وبتأملات حصلناها، وبإلهامات وعيناها، وبسجدات صدقناها، وبضراعات حييناها، فقطعنا الوقت لم يقطعنا.

إننا في وحدانيتنا مع أنفسنا نستقيم ما تواصينا بالحق، وتواصينا بالصبر، ونجاهد ما تعاملنا مع الناس بإيثار على أنفسنا، محبة فيه، ومعاملة معه، وتغاضيا عن المسيئين معنا والمسيئين لنا، تخلقا بخلقه، واتصافا بحلمه في متابعته رسولا من أنفسنا ملتمسين العذر لكل إنسان، فيما هو فيه قائم، تأملا في

حكمته، وانتظارا لواسع رحمته، رادين الطرف إلى أنفسنا في تأملاتنا، قارئين آياته في أنفسنا وفي ذواتنا وفي الآفاق من حولنا، وفيما حولنا من ذوات منا مرايا لنا كتابا منشورا، وصوتا مسموعا، وحكمة عالية، وقدوة سامية، ورحمة شاملة. إننا إذ نعقل ذلك نطمع أن نكون من أهل الكتاب حقيقة ومن المسلمين للرسول حقا، فيرفع عنا الحجاب، ويتحقق لنا إلى الله الإياب، نشهده أقرب إلينا من حبل الوريد، ونعرفه قائما معنا حيثما كنا، وكيفما كنا، وأينما كنا، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، الله أكبر، ثم الله أكبر، ثم الله أكبر، لا إله في شهادة غيره، ولا إله في غيب غيره، صدق وعده، وفي كل زمان صدق وعده ونصر عبده، وفي كل يوم نصر عبده وأعز جنده، وفي كل مكان أعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وفي كل ملحمة هزم الأحزاب وحده.

وصل عبده قديما، وصلى عليه قائما، وجدده به دائما.

أنبأ الرب عنه مبشرا برحمته، فأنبأ العبد عنه مبشرا بمغفرته، ثم نبأه له، وحمله نبأه، فحمل إلى الناس عن الحق به نبأه وخبره، يوم تجاهلوا وجوده وأثره. عرَّف العبد عن حقه بوصف ربه، وعرَّف الرب معه عن نفسه بوصف عبده، ويعرف العبد عن ربه دائما ما كان عبدا، ويعرف الرب عن عبده دواما ما كان ربا، في قانون الفطرة للوجود يتعارفان في عالم الإنسان، فيعرفان وحدانيتهما بالإنسان، فيظهر المعروف بعارفه، ويتصف الموصوف بواصفه، ويقوم الواصف في وصفه، فما كان العبد إلا ربه، وما كان الرب إلا عبده، الله يجمعهما بلا إله إلا الله، في أحديتهما لأحديته، والله هو الله أكبر، في ألوهيته بأكبر عليهما، وفي أكبر لألوهيته بهما، الله أكبر والله أكبر والله أكبر، لا إله إلا الله، في معراج لا يتناهى من لدن حضرة له بنا وتدان إلينا، لا يتناهى بقيام، لا يغيب ولا ينقطع عبدا له ورسولا منه من أنفسنا، والله أكبر والله أكبر والله أكبر، سبحان الله في بدء ببكور، وسبحان الله بتعال بكنزية في آصال. له الحمد، وله الأمر، وله السر والجهر، فاتخذه وكيلا، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه.

نسأله أن ينزل سكينته على قلوبنا، وأن يصلي منا على حبيبه بنا، وأن يصلي منه بمحبته لنا. نسأله الرحمة، والعفو والعافية لنا، ولمن آله من بيننا، ولأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته في قيامنا، أولى بالمؤمنين منا من أنفسهم قياما لعين معانيهم، لا يعرف صاحبة ولا ولد، وأزواجه من أعيانه به إن آمنا أمهاتنا، فكلمة الله به منه قيامنا، نؤمن بالله، ونستجيب لأمر الله، فنؤمن برسوله من الله رحمة لنا، وقربانه إلينا بحق له فينا وبيننا، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه. نسأله أن يولي أمورنا خيارنا، وأن لا يولِ أمورنا شرارنا، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير، لا إله غيره ولا معبود سواه.